

الشخصية الوجدية



يركّز الإسلام في أخلاقياته، في علاقة المسلم بالله وبالناس وبالحياء كلها وبالقيادات الشرعية، على النصيحة، وهي أن يبذل الإنسان كلَّ جهده ليقدرَّم النصيحة التي ترفع مستواه، وتربطه بالله وبسلامة المصير، وتُبعده عن كلِّ ما يُسقط إنسانيته ويبتعد به عن الخطَّ المستقيم. وقد كان شعار الأنبياء لشعوبهم وأُممهم، أنَّهُم يقدرَّمون إليهم النصيحة، وقدَّموا أنفُسهم على أنَّهُم الناصحون لهم، الأُمناء على إبلاغهم رسالات الله التي تنقذهم وترفع مستواهم.

فنحن نقرأ في كلمات الأنبياء التي نقلها الله تعالى: (أُبلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الأعراف/ 68). فالنبيُّ (ص) لم يأت من أجل أن يستغلَّ موقعه ليجلب لنفسه نفعاً أو ليحصل على ثروة وما إلى ذلك، وإنما جاء مبلِّغاً للرسالة، وناصحاً للأُمَّة، حتى تسير في الخطَّ الذي يحقق لها سلامة المصير. ونقرأ أيضاً: (أُبلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ). وفي آية أُخرى، عندما بلَّغ الرسول (ص) كلَّ ما عنده من الرسالة، وقدَّم لهم كلَّ ما عنده من النصيح، ولكنَّهُم تولَّوا عنه، قال: (يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ رَبِّي وَنَصَاحَةٍ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ الذِّكْرَ) (الأعراف/ 79).

وفي حديث رسول الله (ص): «قال الله عز وجل: أحب ما تعبد لي به عبدي النصح لي»، أي أن تكون علاقتك بالله علاقة النصح له. والله لا يحتاج إليك لترشده وتنصحه، ولكن النصح لله هو الانفتاح على مسؤولياتك أمامه، في توحيدك له سبحانه في العقيدة والألوهية والعبادة والطاعة.

وعن رسول الله (ص): «مَنْ أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس منهم – بحيث يكون هم المسلمين همّهم، ومشاكلهم مشاكلهم، فإذا لم يهتم بأُمورهم، وعاش الفردية في ذلك، فليس منهم مسلماً – ومَنْ لم يصبح ويمس ناصحاً – في الإخلاص لمسؤولياته أمام الله – ولرسوله – في السير على خط رسالته – وكتابته – للقرآن في العمل به – وإمامه – الذي يمثّل القيادة الشرعية – ولعامّة المسلمين – كلّ المسلمين في كلّ قضاياهم الثقافية والسياسية والاقتصادية والأمنية – فليس منهم». فمن لا ينصح المسلمين في ذلك، فإنّه يكون خارجاً عن الأُمّة، ولا يمثّل عضواً صالحاً في مجتمعهم.

وعنه (ص) أنّه قال لأصحابه: «الدّين النصيحة»، فالدين تختصره كلمة النصيحة التي يحملها المسلم المتديّن في عقله وفكره وحركته في الحياة، فقال الأصحاب: «لمن؟»، قال (ص): «لكتابته ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم».

ويقول الإمام الصادق (ع) وهو يتحدث عن الإمام عليّ (ع) في انفتاحه على واقع المسلمين واهتمامه بسلامتهم واستقامتهم وعزّتهم وكرامتهم: «إنّ عليّاً كان عبداً ناصحاً لله عز وجل فنصحه، وأحبّ الله عز وجل فأحبّه».

وتلك كانت قيمة الإمام عليّ (ع)، أنّه عاش مع الله في كلّ كيانه، فلم يكن في الإمام عليّ شيء لنفسه، بل كان بكلّ نفسه، وقد باع نفسه، فأحبّه الله تعالى وأحبّه رسول الله، ولذلك كانت كلمة النبيّ (ص) في واقعة خيبر: «لأعطين الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله». وتلك كانت ميزة الإمام عليّ (ع) في المسلمين، فلم يكن بين الصحابة – كلّ الصحابة – مَنْ ارتفع إلى هذا المستوى من الإخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين.

وعن النبيّ (ص): «إنّ أعظم الناس منزلةً عند الله يوم القيامة، أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه». هذه المرتبة العليا عند الله، لا يمنحها إلا لمن تكون حركته في كلّ الأُمور في خطّ النصيحة لخلق الله تعالى، بحيث يدرس كلّ أوضاعهم ويلاحق كلّ حالاتهم، وكلّ ما يمكن أن يرتفع بهم إلى الدرجات العليا في دينهم ودنياهم. وعن النبيّ (ص): «مَنْ يضمن لي خمساً أضمن له الجنة: النصيحة لله عز وجل – وذلك بأن يخلص الله في كلّ مسؤولياته أمامه – والنصيحة لرسوله – في السّير على سنّته والاقتداء بسيرته

والدعوة إلى رسالته - والنصيحة لكتاب الله - بالعمل بكتاب الله - والنصيحة لدين الله - بحيث يتحمل الإنسان الذي يعيش رسالية الدين، مسؤوليته في خطا الدعوة إلى الله ومسؤولية تعليم الناس والسعي بهم في الخط المستقيم - والنصيحة لجماعة المسلمين»، بحيث يعيش الاهتمام بأُمرهم ويواجه واقعهم بمسؤولية.

ونقرأ في حديث الإمام الصادق (ع): «يجب للمؤمن على المؤمن - كتكليف شرعي ملزم - النصيحة له في المشهد والمغيب». وعنه (ع): «عليكم بالنصح في خلقه - لأئمة إذا نصحت خلق الله وعباده، فقد نصحت الله، لأن الله يريد لك أن تكون الناصح لعباده بما يقر بهم إليه ويرفع مستواهم عنده، وبما يحقق لهم النتائج الكبرى في سلامة المصير - فلن تلقاه بعمل أفضل منه»، فإن النصح في خلقه، هو العمل الأفضل الذي لا عمل فوقه في حركة الإنسان في الواقع. وعن النبي (ص): «انسك الناس نسكاً، أنصحهم جيباً - بأن يكون صدره مفتوحاً بالنصيحة للمسلمين - وأسلمهم قلباً لجميع المسلمين»، فلا يحمل في قلبه أي حقد عليهم في أي أمر من الأمور.

وقد كان الإمام علي (ع) يخاطب المسلمين في خلافته، فيؤكد لهم ما هو حق الإمام على الأمة، وما هو حق الأمة على الإمام: «أيها الناس، إن لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم... - أن أنصح لكم وأرشدكم وأنفتح على كل قضاياكم، بما يمكن أن يحقق لكم الخير والسعادة والسلامة - وأما حقّي عليكم، فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب».

ونقرأ في كلمته (ع) وهو يتحدث عن الصالحين من أصحابه: «أنتم الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، فاعينوني بمناصرة جليّة لا غش فيها»

ويقول (ع) وهو يوجه الناس إلى الارتباط بالقرآن، والانفتاح على آياته واتّباع كلّ تعاليمه: «اتّعطوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله، واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، فاستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم».

إنّ كلّ هذه الكلمات الواردة في الكتاب والسنة، تريد من مجتمعنا أن يكون مجتمعاً يعيش المسؤولية تجاه كلّ أفراد المجتمع، بحيث يعمل كلّ إنسان على تحريك فكره ليدرس ما يحتاجه المسلمون، ممّا يمكن أن يحقق لهم الخير والقوّة والسلامة، ولاسيّما في المواقع التي يواجهون فيها التحديات الكبرى من قبل المستكبرين، الذين يكيدون لهم، ويعملون على مصادرّة كلّ واقعهم. إنّ القضية أن كلّ واحد من المسلمين مسؤول عن كلّ المسلمين: «كلّكم راعٍ، وكلّ راعٍ مسؤول عن رعيته». إنّ

الأُمَّة الإسلامية تمثِّل وحدةً في المصير والمسیر، وعلينا أن نرتفع إلى مستوى هذه الوحدة لنعيش همَّ المسلمين، لنؤكدِ القوَّة في كلِّ واقِعهم.